

السَّابُّ الرَّابِعُ
الحياة البرزخية (حياتنا بعد موتنا)

obeykandl.com

حياة القبر والحياة البرزخية في القرآن والسنة

١ - حياة القبر :

يقول الله تعالى في سورة عبس : (قتل الإنسان ما أكفره . من أى شيء خلقه . من نطفة خلقه فقدره . ثم السبيل يسره . ثم أماته فأقبره . ثم إذا شاء أنشره .) .

ويقول سبحانه في سورة النور : (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) .

ويقول تعالى في سورة الأنعام : (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون) .
ويقول سبحانه في سورة السجدة : (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) .

وفي سورة التوبة : (ولا تصلّ على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) .
ويقول تعالى في سورة الحج : (وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور)

وفي سورة فاطر :

(إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور) .
وفي الممتحنة : (قد يشوا من الآخرة كما يثس الكفار من أصحاب القبور) .

وفي سورة الانفطار : (وإذا القبور بعثرت . علمت نفس ما قدمت وأخرت) .

وفي سورة العاديات : (أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور . وحصل ما في الصدور) .

ويقول سبحانه في سورة التكاثر : (أهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر) .

وفي أحاديث النبي ﷺ أنه قال :

- إن الميت إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه . . إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل يعني النبي ﷺ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله . قال . فيقولان له : انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة . قال فيراها جميعاً . . وأما الكافر فيقولان له ما كنت تقول في الرجل : يعني النبي ﷺ فيقول لا أدرى كنت أقول ما يقوله الناس فيقولان له لا دريت ولا تليت أى لم تتبع الحق . ثم يضرب بمطارق من حديد فيصيح صيحة يسمعها من عليها إلا الثقلين (أى الإنس والجن) .

ويقول الرسول ﷺ : « القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه - رواه الترمذى .

- وقال ﷺ : « مارأيت منظرًا قط إلا والقبر أفضع منه » .

- ويقول أيضاً : « القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » .

« القبر كقطع الليل المظلم . أيها الناس لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً

ولضحكتكم قليلا . . أيها الناس استعينوا من عذاب القبر فإن عذاب القبر حق » .

- وفي الصحيح عن ابن عباس عن النبي ﷺ : « مر النبي ﷺ بقبرين فقال : إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير .. أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله .. وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة .
ثم دعا بجريدة (نخل رطبة) فشققها نصفين وقال : « لعله يحفظ عنهما ما لم يبيسا » .

- وقال ﷺ : « إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ومن عذاب القبر . . ومن فتنة المحيا والممات . . ومن فتنة المسيح الدجال » .

- وقال أيضاً : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه . . وإن مات أجرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتنة . . » .

الآيات التي تصف حياة البرزخ

٢- في البرزخ :

قال الله تعالى في سورة الرحمن : (مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لا يبغيان) .

وقال في سورة ق : (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) .

وقال تعالى في سورة الأعراف : (وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم

ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم أَلست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون) .

وقال تعالى في سورة السجدة : (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) .

وقال سبحانه في سورة النساء : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً) .

وقال تعالى في سورة آل عمران : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

وقال تعالى في سورة نوح : (مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً) .

وقال تعالى في سورة الدخان : (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) .

وقال في سورة الزمر : (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون . وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون) .

وقال تعالى في سورة المل : (ويوم نفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين) .

وقال سبحانه في سورة الانفطار : (وإذا القبور بعثرت) .

وقال تعالى في سورة العاديات : (أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور . وحصل ما في الصدور . إن ربهم بهم يومئذ لخبير) .

وقال تعالى في سورة المعارج : (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون . يوم يخرجون من الأجداث سراغاً كأنهم إلى نصب يوفضون . خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) .

وقال تعالى في سورة القمر : (فتولّ عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر . مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر) .

وقال تعالى في سورة طه : (يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً) .

وقال تعالى في سورة يس : (ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون . فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون . ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون . قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون . إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون . فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون) .
وقال تعالى في سورة المدثر : (فإذا نقر في الناقور . فذلك يومئذ يوم عسير . على الكافرين غير يسير) .

وقال تعالى في سورة الروم : (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) .

وقال تعالى في سورة المؤمنون : (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) .

وقال تعالى في سورة الفرقان : (وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً) .

فائدة :

البرزخ : الحاجز بين الشيئين وهو أيضاً ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث فمن مات فقد دخل البرزخ .

حياتنا . . ماذا بعد موتنا ؟

للأستاذ/توفيق الحكيم^(١)

هل يقدر لنا أن نرى أحياءنا مرة أخرى بعد موتهم ؟ . . كان « أوليفرلودج » العالم الفيزيائي المعروف منذ القرن الماضي بأبحاثه في الضوء والكهرباء والإلكترونيات والرياضيات التطبيقية والفلسفة الطبيعية قد انتهى في أواخر حياته إلى الاعتقاد الراسخ في إمكان الاتصال بالموتى ، فنشر في هذا الموضوع مؤلفات منها (بقاء الإنسان بعد الموت) و (الحياة والموت) ثم اتجه إلى المصالحة بين العلم والدين . . وكان لهذا الاتجاه الذي نقله من مجال العلم والبحث إلى مجال الروح والدين ما جعل بعض زملائه من العلماء يبتعدون عن أخذ هذا الاتجاه مأخذ الجد ، واعتبروا ذلك نابعاً من عاطفة حزنه الشديد على وفاة ابنه . . فطبيعة الإنسان بما ركب فيه من قوة فريدة في الذاكرة وإدراك عميق لأبعاد الشخصية البشرية وتقدير مدروس لأعجوبة الإنسان في هذا الوجود ، كل هذا يدفع الإنسان إلى رفض صورة فنائه وزواله النهائي من سجل الموجودات لمجرد فناء جسمه المادى ، فهو منذ استوى على أرض الوعى الذاتى وهو يؤمن بأنه ماخلق بكل هذه الجواهر الثمينة في طبيعته إلا ليبقى وتبقى معه طبيعته المعجزة في حياة ممتدة إلى أبعد من حياة تركيبه المادى الواهن . . ولكن العلم المادى منذ انتفض قائماً كالمارد أخذ يقلقنا . . وأنا بنوع خاص عقلاانى

(١) جريدة الأهرام - الجمعة ١٩٧٩/٢/٣ .

المنحني بحكم الطبع المتأصل يستهويني العلم وأميل إلى تصديقه . . ولكنه يوقعني في الحيرة عندما أراه صامتاً أمام الروح . . وقد ألغس له العذر عندما أتذكر قدراته . إنها قدرات فائقة بالفعل ، غير أنها قائمة على إدراك الأشياء بالحواس المادية .

ومهما يتعمق العالم في علمه فإن اكتشافاته على علو قيمتها وسمو غايتها وقوة دفعها لتقدم الإنسانية إنما تتم بالفحص والفهم عن طريق ماتدركه وتمارسه حواسنا ، ولاشئ غير حواسنا ، هذه الحواس التي تقرر لنا الوجود وغير الوجود . . وماذا تكون حواسنا الضعيفة القاصرة في هذا الكون الهائل غير المتناهي ؟ هذه الحواس التي تعجز عن إدراك ماخرج عن نطاقها المحدود . . لذلك لجأ الإنسان إلى شئ يستطيع أن يجيب له عن الأسئلة التي ليس لها جواب عند العلم : إنه الدين . . ولكن أهل العقل يطمعون أن يسمعون رأى العلم في الدين وأن يربطوا بين العلم والدين . . ولقد أتيح لى أن أجمع بعالم كبير في مؤتمر ثقافى فى فرنسا هو « الفريد كاستلر » عالم الفيزياء الحائز على جائزة نوبل عن بحوثه فى المادة ، ومؤلف كتاب عنوانه (المادة هذا المجهول) وهو مثل « أينشتين » من العلماء المؤمنين . وقد سألته إحدى الصحف الكبرى عن « المادة » وقد قطع فى أبحاثها شوطاً أبعد مماوصل إليه أينشتين لأنه انطلق فى مساره بعد المرحلة التى وقف عندها سلفه العظيم .

أجاب كاستلر : « إننا كلما أوغلنا فى دراسة المادة أدركنا أننا لم نعرف عنها شيئاً . فهناك دائماً وسوف يكون دائماً وإلى الأبد ما هو مخفى عنا » . فسألوه : مخفى بماذا ؟ بمن ؟ . . فقال « بالنظام الكونى . . بالله . . رباً . . » هذا نص مالفظه كاستلر .

وكلمة « الله » على لسان عالم إنما تلفظ دائماً بتحفظ . لأنه يخشى أن يسأل

بعد ذلك عن هو الله ؟ . . وهو بكل علمه ، وبكل علم البشر أجمعين لا يستطيع مخلوق على كوكبنا أو أى كوكب آخر ، ولن يستطيع ، أن يصف « الله » . . ولعل خير إجابة هي ماوردت في القرآن : (ليس كمثله شئ) . . ومع ذلك سألته عن رأيه في العلاقة بين العلم والدين . فقال : إن العلم ينتمى إلى منطقة المعرفة التي تفسر الكون على أساس مبدأ « السببية » في حين أن الدين يعتمد في إدراك الكون على مبدأ « الغاية » . . وهذان المبدآن يكمل أحدهما الآخر ولا يعارضه . وبذلك يرى كاستلر أنه لا تعارض بين العلم والدين . فالتوفيق إذن بين العلم والدين قائم دائماً عن طريق الاتفاق بينهما على الهدف . فهما لا يختلفان في كونهما طريقين لصالح البشرية وتقدم الإنسان . ولكن لكل منهما طريقه الخاص . والخطأ في التوفيق بينهما إنما يأتي من مطالبة الاثنين بالسير في نفس الطريق واستخدام نفس الطريقة . فالطريقان مختلفان . والغاية واحدة . . طريق العلم تمتد فيه قضبان حديدية تسير عليها قاطرة العقل البشرى ، وتظل هذه القاطرة تسير حتى تجد أمامها سداً منيعاً من بحار لانهاية لها وجبال لانفاذ خلاها فتقف القاطرة العقلية عاجزة . . أما طريق الدين فليس فيه قضبان ولا قاطرة . . إنما هو نور يملأ النفس ويشعرها بالوصول في حضرة الله دون أن تراه . وهذه المرتبة من الإيمان ليست في الشعائر التي قد يظن البسطاء إنها هي كل الدين فما الشعائر إلا وسائل يتوسل بها العاديون من المؤمنين لتهيئة نفوسهم وإصلاحها كي تسلك السبيل الذي يؤهلها للاقتراب من أشعة النور الإلهي ، ولذلك فإن التركيز على الشعائر وحدها كما لو كانت هي كل الدين كالتركيز على السلايم أو السلام دون الاهتمام الأعمق والأقوى بالطابق العلوى حيث النور الإلهي الذي من أجله صنعت السلام التي يرتقى عليها للوصول . فالطابق الأعلى إذاً هو جوهر الدين . إنه إدراك النور بالشعور وبالعقول الكبيرة أيضاً لأولئك

العلماء الكبار الذين ذكرهم الله بقوله (إنما يخشى الله من عباده العلماء) والخشية هنا هي التقدير والإجلال وليست مجرد الخوف من البطش والغضب ، وهؤلاء العلماء الذين قدروا الله حق قدره عندما توغلوا في الكشف عن أسرار خلقه فتبين لهم في نهاية المطاف أنهم وأرضهم ليسوا أكثر من ذرة رمل على شواطئ بلا حدود ، وأن خالق الشواطئ والبحار والجبال والسموات والنجوم والمجرات والأكوان له من العظمة بحيث لا يمكن أبداً لذرة رمل مثلهم أن يقتربوا من سره إلا بشعاع من نوره يتفضل به عليهم ، وهنا يجدون أنفسهم قد دخلوا منطقة الدين عن طريق عجزهم البشري ، وكما جاء في كتاب « درء تعارض العقل والنقل » لابن تيمية « أن الرسل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته وهذا هو طوق النجاة في بحر اليأس العميق ، اليأس الذي يغرقني عندما يكاد العقل يقنعني بأنه لاسبيل لبقاء الروح بعد فناء الجسد مفسراً لى كيانات البشرية تفسيراً علمياً بأنه مجرد آلة كالآلة الحاسبة يعيش بذاكرته، تملأ بالأحداث على مدى عمره كما تملأ شرائط الكمبيوتر ، وأنه يتحرك بدوافع كهربية مغناطيسية تغذيها دورة دموية ، وأن الذاكرة والروح والحركة إن هي إلا مجرد نشاط عضلي آلى قد يصل التقدم التكنولوجي يوماً إلى أن يصنع مثيلاً للإنسان البشري . . . ياله من تصور علمي مخيف . . . وياله من شقاء أليم أن نعلم أن أحبائنا الذين ماتوا ليسوا أكثر من آلة تحطمت وصدئت وألقيت في حفرة العدم النهائي . لا رجعة لها ولا قيامة . وكما قال بولس الرسول في إحدى رسائله في صدد القيامة ، في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس إصحاح ١٥ : « إن كل الأموات لا يقومون فنحن أشقى جميع الناس فلنأكل ونشرب لأننا غداً نموت . ولكن يقول قائل كيف يقام الأموات وبأى جسم يأتون ، الذي نزرعه لا يحيا إن لم يمت . . بل حبة مجردة ربما من حنطة أو أحد البواقي ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد ولكل

واحد من البذور جسمه . . وهكذا أيضاً قيامة الأموات يزرع (الإنسان) في فساد ويقام في عدم فساد ، يزرع في هوان ويقام في مجد ، يزرع في ضعف ويقام في قوة ، يزرع جسماً حيوانياً ويقام جسماً روحياً .

إذا قلت لنا أيها العقل البشرى ويأياها العلم الوضعى إن اجتماعنا مرة أخرى مع عزيزنا الذى مات هو أمر مستحيل عقلاً فإن كلمتك لن تكون الأخيرة ، ولن تدفعنا إلى القنوط . . فإن في قدرة الله وتقديره مايتجاوز أى فكر لأى كائن مهما يبلغ عقله وعلمه في أى جرم من أجرام الكون اللانهائى .

* * *

حياتنا . . ماذا بعد موتنا ؟

للأستاذ الدكتور/ سمير هندی^(٢)

كتب أستاذنا الكبير توفيق الحكيم مقالة بهذا العنوان تساءل فيها قائلاً :
« هل يقدر لنا أن نرى أحبائنا مرة أخرى بعد موتهم ؟ » .
والثابت تاريخياً أن الإنسان تطلع منذ اللحظة الأولى التي شعر فيها بوجوده
الذاتي على الأرض لاستشفاف كيفية حياته على الأرض ، ومصيره إزاء
الموت ، وما بعد الموت ، وما سيكون عليه في الحياة الآخرة لأنه أدرك أنه غريب
على هذه الأرض ، وأنه يقضى في الحياة الدنيا فترة من الزمان ، قد تطول وقد
تقصر وأنها - هذه الفترة - على أى حال قصيرة جداً بالنظر إلى الأبدية التي
يتطلع إليها والتي لانهاية لها وأيقن أن الموت مهما طالبت به السنون لا بد أن
يدركه ، ولا يزال هذا التفكير ملازماً له في بؤرة شعوره إلى وقتنا هذا للوقوف
على حقيقة هذه الأمور .

وعلى الرغم من أننا لانجد في أى عصر من عصور التاريخ أمة خلا تفكيرها
من وجود حياة أخرى بعد الموت الجسدى ، فإننا نرى القائمين بالمذاهب المادية
واللاقدرية والعقلية وغيرهم ينادون بأن الإنسان عندما يموت يفنى تماماً روحاً
وجسماً ، مثله في ذلك مثل الحيوان الذى ليس فيه روح خالدة ، فيموت
ويتلاشى . لأن الروح عندهم من ذات جوهر الجسم غير مستقلة عنه ، وأنها

(٢) حريدة الأهرام الجمعة ٩ فبراير سنة ١٩٧٩

تولد من المادة كما تولد النغمات من القيثارة وكلاهما يتحلل بالموت . وبذلك تكون الحياة الأرضية في نظرهم هي كل شيء بالنسبة للإنسان ، ولا توجد حياة أخرى بعد الموت . لأن ما يتركه الإنسان بعد موته ما هو إلا كمية من فوسفات الجير والأملاح الأخرى التي تنتج من تحلله إلى عناصره الأولية . ولهذا ينظرون إلى الموت نظرة حقد وكراهية لاعتباره فاجعة تحدث للحياة البشرية ، ولأنه ينهى حياة الإنسان تماماً ويحرمه من التمتع بلذة الحياة والوجود .

وإذا كانت هذه هي نظرة البعض إلى الموت . فإننا نكاد نرى شبه إجماع تام بين كافة الفلسفات والمعتقدات والديانات المختلفة على اعتبار أن الموت ما هو إلا باب يعبر منه الإنسان إلى عالم آخر .

وإذا كان الإنسان قد جلب على نفسه الموت لعصيانته ومخالفته للأوامر الإلهية ، فإن هذا لا يعنى أن الموت يتعلق مباشرة في كل حالة وعلى الدوام بخطايا الإنسان ، لهذا ينبغي أن نفرق بين نوعين من الموت الجسدى الذى يحدث نتيجة لانفصال الروح عن الجسم وموت الخطيئة الذى يكون بانفصال الإنسان عن الله مصدر الحياة لأننا نعلم أن آدم مع أنه حكم عليه بالموت نتيجة مخالفته وصية الله ، وطرده من الجنة فإنه لم يموت الموت الجسدى إلا بعد أن بلغ من العمر تسعمائة وثلاثين سنة لأنه طبقاً للطبيعة الأصلية التى خلق عليها الإنسان ، نجد أنه لم يخلق ليموت . كما لم يكن فى غرض الله بالنسبة للخليقة أن يفصل اتحاد الروح عن الجسم . ولكن بدخول الخطيئة إلى العالم ، وفساد الطبيعة البشرية ، فقد تغيرت كل هذه الأمور وكان الموت نتيجة للخطيئة .

ولم يقس الله على إنسان ، لأنه كما نال حكم الموت ، كان سينال الحكم بالحياة التى لا تعرف الموت لو أنه ظل بدون خطيئة ، لأن الإنسان بحكم خلقته يعد الكائن الوحيد من بين المخلوقات الأرضية الذى خلق لينعم بالخلود لانفراده

عنها بالعنصر الخالد الذى هو الروح ، ومن ثم كان يمكنه أن ينجو من الفساد ويبقى فى عدم فساد فى حالة احتفاظه بتلك الصورة الطاهرة التى خلقه الله عليها .

ومع أن الموت الجسدى صار يحدث للإنسان ، فإن هذا لا يؤدي إلى فناء الإنسان حيث تنطلق روحه إلى العالم الآخر حيث يوم البعث والقيامة العامة ، فتتحد ثانية بذات الجسم الذى كان لها لأنه وإن كان الجسم يتحلل بالموت إلى عناصره الأولية التى يتكون منها ، فإن ذلك لا يعنى الفناء للجسم ، لأن كل ما يحدث هو أن الموت يعمل على تحويل الجسم إلى عناصره الأولية التى يتكون منها وإلى أنواع أخرى من الطاقة . لأن كل ما فى الكون عبارة عن مادة بحسب حواسنا وطاقة ، وإن كلا منها يقبل التحول إلى الآخرة ، ولا يقبلان الفناء . ولما كانت المادة مستمرة التغير وجوهرها يختلف عن جو الروح الذى لا يتغير ، فإن ذلك يفسر لنا سربقاء الشخصية الإنسانية كما هى فى جميع سنى حياة الإنسان ومراحل نموه المختلفة ، وفى الحياة الأخرى أيضاً على الرغم من تغير خلايا الجسم وتجديدها مرات عديدة خلال رحلة حياته على الأرض . وإذا كانت الشخصية الإنسانية تستمر فى وجودها ، وإذا كانت الذات أو الروح سوف تظل فى العالم الآخر ، فإن ذلك يوضح أن الحياة الحاضرة ماهى إلا طريق للحياة الآخرة . وبذلك يخطئ من يظن أن هذه الحياة الدنيا هى نهاية المطاف للإنسان ، وأنه بعدها يفنى روحاً ونفساً وجسماً . لأن الموت بمعنى التلاشى لا يتفق مع ما تعلم به كافة الفلسفات والمعتقدات الدينية .

فالخلود عقيدة اعتنقتها كافة الشعوب منذ أن بدأت الخليقة ، وآمن بها الإنسان فى كل عصر وزمان على الرغم من اختلاف كل شعب لتفهم وإدراك طبيعة هذا الخلود ، لأن الروح فى ذاتها قوة الحياة والقدرة على الحياة بدون

الجسم ، لأنها جوهر مستقل تمتلك الإرادة المستقلة التي تعبر عن ذاتها خلال الجسم التي تستخدمه كآلة تديرها لإظهار الوظائف المادية والطبيعية للحياة الأرضية ، لهذا تعتبر الروح هي الإنسان الحقيقي لأنها تحي الجسم في العالم الحاضر وتحيا بدون الجسم في مقر الأرواح في العالم الآخر . وسواء طالت أم قصرت هذه الفترة التي يحياها الإنسان بروحه منفردة عن جسمه ، فإنها لا تستمر إلى الأبد ، لأن بقاءها هكذا رهن بحدوث القيامة العامة حيث تتحد ثانية الروح بالجسم الذي كان لها . لأن بقاء الحياة ودوامها إلى الأبد ليس لعنصر واحد ولكن للشخصية الإنسانية بعناصرها المختلفة . حيث البقاء والخلود للإنسان كله .

وهكذا يتضح أن الموت ما هو إلا استمرار لحياة الإنسان في العالم الآخر . لأن كل ما للإنسان من ذاكرة وإحساس وشعور ينتقل معه إلى عالم الروح بعد الموت ، ولا يترك الإنسان سوى جسمه الترابي في هذه الحياة فتبدأ الروح رحلتها في العالم الآخر منذ اللحظة التي تنفصل فيها عن الجسم الذي كانت تتحد به . وتكون في حالة وعى تام وشعور كامل بوجودها وبوجود الأرواح الأخرى معها . في العالم الآخر ، وأيضاً بمن هم في عالمنا الحاضر . لأنها بانطلاقها من الجسم تصبح أكثر شفافية ونفاذاً وقدرة على الوصول إلى أهدافها ، ولا يكون للزمن حساب عندها ، ولا تبدو المسافات عائقاً أمامها ولا تعرقلها الصعوبات .

ويبقى مع الروح في العالم الآخر كل حياتها . وتحمل معها كافة الأشياء التي كانت تمتلكها في ذاتها الإنسانية فيما عدا الجسم المادي الذي تنفصل عنه بالموت . وتحيا بممارسة أفعال العقل والإرادة الخاصة بها ، فيبقى معها الذاكرة وكل ما فكر فيه الإنسان وإرادة عمله ، وإن كان كثير من الأفكار ليس للإنسان حاجة إليها في العالم الآخر فإنها لا تتلاشى بل تظل ساكنة إلى يوم الدينونة حيث

يمثل أمام الإنسان كل ما فكر فيه وعمله في حياته الدنيا ، حيث ستكون وسيلة الحكم بما له أو عليه ، فليس هناك نسيان لشيء أو ضعف للذاكرة بل على العكس تزداد الذاكرة قوة كما يحتفظ الإنسان بالعاطفة التي كانت له ، ويتجرد من الأنانية والحقد والكراهية ، وتنعم الروح في العالم الآخر بالمعرفة الواسعة التي تفوق معرفتها في العالم الحاضر بتحررها من الهيكل المادى الذى كانت تسكنه ويحد من طبيعتها . ولا تقاس معرفتها التي تكون لها بالمعرفة التي كانت في العالم الحاضر حيث كانت في الجسم مغلفة بغلافه الذى يمنعها من الاتصال بالعالم الآخر إلا عن طريق الحواس المحدودة .

وتتطلع الأرواح إلى أخبار أحبائها في الحياة الدنيا ، وتعرف أحوالهم بما لها من معرفة ذاتية كبيرة وبما يصل إليها من معلومات عن طريق الملائكة التي تتحرك بين السماء والأرض وكذلك عن طريق أرواح البشر التي تنتقل حديثاً من الأرض إلى مقر الأرواح .

ويكون في مقدرة الروح في العالم الآخر أن تعرف ما يحدث لأحبائها على الأرض وتحاول إقناعهم بوجودها وحياتها ومنعهم عن الحزن والبكاء عليهم ، وكأنى بها تقول لهم لا تحزنوا كالذين لارجاء لهم .

فمن نسميهم موتى هم قريبون منا يشاطروننا أفراحنا ويسعون للاتصال بنا لمساعدتنا ونجدتنا عند الضرورة .

من هذا يتضح أن الأرواح في العالم الآخر تكون على دراية كبيرة بالعالم الذى تحيا فيه ، ويعلمنا الحاضر لأنها تخلصت من الجسم الكثيف الذى كان يحد من طبيعتها وأصبحت أكثر قدرة على النفاذ إلى عالمنا المادى وأكثر حساسية وشفافية لمعرفة الأمور المحيطة بنا ، وليس هذا بالأمر المستغرب ، لأننا به هنا على الأرض نرى بعض الأتقياء نظراً لروحانياتهم وقداستهم وما يتمتعون به من شفافية

يستطيعون النفاذ عبر المسافات والأماكن ويكونون على درجة من المعرفة غير العادية التي تمكنهم من معرفة ما يدور حولهم ، وإدراك أخبار الذين يتعاملون معهم وهم لا يزالون أحياء بأجسامهم .

وإذا كانت هذه قدرة البعض في عالمنا الحاضر ، فكم تكون قدرة الأرواح التي انفصلت عن أجسامها وتخلصت من كثافتها ، وأصبحت في عداد الكائنات التي تحيا في العالم الآخر .

* * *

الحياة البرزخية^(٣)

للأستاذ الدكتور/محمود بن الشريف

بعد ما عرضنا من أمر البدن وأطوار خلقه والروح وأحوالها والنفس وصفاتها يستوقفنا قول الله سبحانه وتعالى : (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون . لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) (٩٩ - ١٠٠ المؤمنون) ألا ما أجهل الإنسان حين يظن أنه أحاط بأطراف العلم وأحصى . . ألا ما أشقاه وما أضناه وهو يطرق الأبواب الغيبية يستجدى المعرفة فيهديه الله حيناً وتضلّه النفس والهوى أحياناً . . أيها الإنسان يا من تظن أنك حي يترقب الموت في خشية . . انتبه فإنك ميت في طريقك إلى الحياة فما الموت إلا بداية الحياة . . الحياة المحجوبة عنا والتي نجهلها كما جهلنا حياتنا ذرية في ظهور آبائنا . . بل كما جهلنا ألصق الأشياء بنا وأظهرها لنا في حياتنا الدنيا ونحن نركب سفن الغرور إلى الفضاء . .

فالحياة البرزخية أيها الإنسان . . حياة حافلة صاخبة لكن علمك الذي ظننت أنك تقتحم به المجهول يقف في غباء وبلاهة أمامها . . لايلمس منها إلا القدر الذي أراد الله أن يذكره لنا . . ألا فلتخفض جناحك فهو كسير ولتحم بحول الله وعلمه وأنت تسلك الطريق إلى معرفة تلك الحياة البرزخية . . ولتعلم أيها الإنسان بدءاً أن الله جلت حكمته رحمة بنا وإشفاقا علينا حجب

(٣) الحياة البرزخية في القرآن - د/ محمود بن الشريف - دار الشعب سنة ١٩٧٢ بتصرف

الحياة البرزخية عن أعيننا حتى لا يتدافن الناس ، أجل حجبتها حتى عن الذين جابوا الفضاء بحثاً عن الله وهم عاجزون عن أن يدفعوا الموت بغوائله عن أنفسهم أو أعز ذويهم . . بل حتى عن الذين حاولوا استكشاف الموت وما بعد الموت فوضعوا الأجهزة والمعدات في القبور فباءوا بالخسيران ورجعوا بلا شيء . . . ذلك أن الله بحكمته أراد أن يبلو عباده أيهم أحسن عملاً . . فلو أنه سبحانه أظهر لنا تفاصيل هذه الحياة لما عمر الأرض غير ملائكة أو أشباه ملائكة . . ولما كانت الإنسانية في حاجة إلى رسل أو إلى كتب . . فكان ذلك الاحتجاب اختباراً لإيماننا فلا يستوى من يؤمن بالمحسوس مع من يؤمن بالغيب . . كذلك فإن الحياة البرزخية نفسها مقدمة لحياة يعلم المرء فيها أنه ليس له إلا ماسعى وأن سعيه سوف يرى . . فمن عمل مثقال ذرة خيراً يره ومن عمل مثقال ذرة شراً يره . فكان أن سعى الناس إلى تحصيل الخيرات . . والله وحده يعلم حكمة إخفائه هذه الحياة عن الإنسان بعقله المخلوق القاصر عن إدراك الغيبات وحسب الإنسان أنه إن آمن بالغيب جنى الدرجات العلا ، وإلاّ باء بالخسيران المبين . . فعالم البرزخ . . عالم ما بعد الموت . . عالم لا مجال للرأى أو العقل فيه . . يصعب على النهى إدراك بعض مافيه . . ويستحيل على الخيال أن يخلق في سمواته وأرجائه . . فهو ذلك العالم الذى لا يستطيع الإنسان بكل ما يملكه من أجهزة علمية وقوانين متطورة ومعامل وصواريخ أن يطرقة . . فلا أثر إلا ما أثر عن الرسول ﷺ ولا خبر إلا ما أخبرت به السنة . . وقبل ذلك إلا ما جاء به القرآن كلام الله (ومن أصدق من الله قيلاً) وقد ذكرنا فى الصفحات السابقة من الآيات منارات قرآنية تكشف لنا ما أراد الله لنا أن نعلم عن حياة البرزخ . . وتؤكد أن الإنسان الذى فجر الذرة وغاص حتى الأعماق وارتفع حتى الذرى لا يزال عاجزاً عاجز أسلافه الأولين أمام الموت ، وأن

الأرض التي ضمت قابيل هي التي ستضم من بعده كل مخلوق عبر الآباد حتى يوم يبعثون . . . ولسوف يبقى الإنسان جاهلاً جهله السرمدى طالما هو متشع ببدنه الطيني الكثيف ، بل سوف يبقى فريسة للموت يتزل به في كل ساحة وساعة يجهل أين يموت ومتى يموت ولا يملك أن يدفع عن نفسه النهاية المحتومة . . . كذلك سوف يبقى الموت في جبروته وغموضه يتزل على بنى البشر حين لا يتوقع ويمتنع حين يطلبونه . . . وحين يتزل يحتضر الإنسان فينظر حيث نظنه لا ينظر فإذا هو يرى الله وسر الله وملائكة الله ، والأحياء بجواره يتوهمون أنهم ينظرون وما هم بناظرين . . . ألا ما أعجز الإنسان وما أعماه . . . (قل فادعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) .

وكل محتضر يجأ متوسلاً إلى الله (رب ارجعون) ذلك أنه وقف على مشارف النور فرأى من آيات ربه ما رأى ، وعرف من أسرار الآخرة ما جعله يدعو ويأمل مطيعاً كان أو عاصياً . . . تقياً أو فاجراً صالحاً أو طالحاً . . . تتكشف له المصائر ويرى دلائل التنعيم وأمارات العذاب فيتوسل الرجوع حتى يزداد طاعة إن كان مطيعاً أو يمحو آثار عصيانه إن كان عاصياً ولكنه رجاء حيث لا جدوى ، وندم حيث لا ينفع الندم . . . ويقول الرسول ﷺ : « ما من أحد يموت إلا ندم . قالوا : وما ندامته يا رسول الله ؟ قال : إن كان محسناً ندم ألا يكون ازداد في إحسانه . . . وإن كان مسيئاً ندم ألا يكون قد أقلع عن إساءته » . . . فينادى . . . رب . . . ارجعون . . .

كلا إنها كلمة هو قائلها . . . يومئذ يقول أهل النار : (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين . ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون . قال اخسثوا فيها ولا تكلمون) (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون) .

ذلكم الرد الإلهي الحاسم (كل نفس بما كسبت رهينة) . . . فقدموا لأنفسكم . . .

قال ابن عباد : كان الربيع بن خيثم قد حفر في داره قبراً وكان يضع في عنقه غلاً وينام في لحده ويقول : (رب ارجعون) ثم يقوم وهو يقول لنفسه : (ياربيع قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا تردّ) .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : « إن معاذ بن جبل دخل على رسول الله ﷺ وهو يبكي فقال له : كيف أصبحت يامعاذ ؟ قال : أصبحت مؤمناً حقاً . فقال النبي عليه الصلاة والسلام : إن لكل قول مصداقاً فما مصداق ما تقول ؟ قال يانبي الله ما أصبحت صباحاً قط إلا ظننت ألا أمسى . وما أمسيت مساء قط إلا ظننت ألا أصبح . ولا خطوت خطوة قط إلا ظننت ألا أتبعها أخرى . . . وكأني أنظر إلى كل أمة جاثية تدعى إلى كتابها معها نبيها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله ، وكأني أنظر إلى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة » قال ﷺ عرفت فالزم .

* * *

أجل طوبى لمن عرف فلزم . . . والندم لمن عرف ولم يلزم . . . فإنه لا يدري متى ينقض عليه الموت وعلى أية هيئة تتم وفاته . . . في صحو أو نوم . . . في انتباه أو غفلة . . . في سير أو وقوف . . . في حركة أو سكون . . . في حرب أو سلام . . . فمتى حان الحين كان الموت وكانت الوفاة : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) فتجربة الموت الصغرى تمر بنا في كل يوم فيسلب الإحساس من النائم وتقبض روحه التي تهيم في دنياها وعالمها ، فلا يربط الجسد بروحه آنئذ إلا رابط في دقة الخيط ورقته ، فلا تكون إلا أنفاس تعلو وتهبط ليس من فارق سواها بين النائم ليستيقظ والنائم إلى الأبد فالنوم وفاة والرسول ﷺ يقول :

(النوم أخ الموت) . . وعن حذيفة أنه عليه السلام كان يقول إذا أراد أن ينام :
« باسمك اللهم أموت وأحيا » ثم إذا استيقظ قال : « الحمد لله الذى أحيانا بعد
مألماتنا وإليه النشور » .

فلعل الغافلين يتنبهون إلى أن الموت الأكبر واقع بنا وهم يمرون كل يوم
بالموت الأصغر . . بل لعل من ينكرون الحياة بعد الموت يتعظون ولا يكابرون . .
بل لعلهم يكفون عن سؤالهم الهزلى : متى يقع ذلك الموت ؟ قل عسى أن يكون
قريباً . . فروع الموت فى بغتته ، وشدته فى فجاءته ، فبين المرقد اليومى والمرقد
الأبدى أقل من ومضة ، وأضال من آونة فإنما هى شهقة فإذا مصير ومسير ،
وإذا حياة غير الحياة . . لكن أحداً من الخلق لا يعرف متى ؟ أما العليم العلام
سبحانه فهو الذى اختص نفسه بالعلم فى خصوصيات لا يمكن لباحث أن يهتدى
إليها : (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى
نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت) .

فالعجز التام لعلم البشرية الجاهل . . وعقلها المبسر . . ومعرفتها
المحدودة . . (قل لكم ميعاد يوم لاتستأخرون عنه ساعة ولاتستقدمون) .
لكن هذه العقول القاصرة بعلمها الجاهل كثيراً ماتنكر وتكذب وتجمحد إلا
ما تراه مجسماً محسوساً أو مادياً ملموساً ، فلا تصدق الحياة بعد الموت ولا البعث
ولا العقاب والثواب . . لكن القلوب الواعية التقية المؤمنة هى التى تؤمن بالغيبات
والأمور المعنوية وعن هؤلاء يقول الفرقان : (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى
للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب) . . لكن المنزل الأخرى (القبر) حين يضم
هؤلاء الجاحدين سوف يصرخون حين تختلف أضلاعهم (رب ارجعون) .
أما المتقون فسوف يفرحون بقاء ربهم بل سينعمون فى حياتهم البرزخية . .
الطريق الموصل بين الدنيا والآخرة . . حياة تبدأ لا بالولادة ولكن بالموت ،

وتنتهى لا بالموت ولكن بالبعث والنشور ، حيث يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون . حياة ليست بالومضة العابرة بل فيها الحساب والنعم والمساءلة . . . فهي حياة بين حياتين تحلل فيها الميت من طينته ودخل إلى حيز الروح والحق والنور ، فرأى المحجوب وكشف له المستور وعلم ما كان قد جهل فبصره اليوم حديد . . .

حياة البرزخ . . . حياة يرى فيها مكانه في العالم الأخرى ومكانته يوم القيامة فرسول الله ﷺ يقول : « مامن عبد ينزل في قبره إلا ويعرف مكانه في الآخرة أشقى أم سعيد » .

وفي الحياة البرزخية صديقون وشهداء أحياء في قبورهم ، وفيها جاحدون كافرون معذبون في رمسهم ، وفيها رسل الله من أنبياء وملائكة يعيشون في أجوائها يسمعون ويرون ويحسون ويشعرون (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) . (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون) . وفي الحياة البرزخية متسع للكفار يعرضون فيها على النار غدواً وعشياً وتضيق عليهم قبورهم (فإن له معيشة ضنكاً) ويدوقون فيها العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر الذى يلقونه يوم القيامة .

ويخبرنا الرسول ﷺ : « مرت ليلة أسرى بى على موسى قائماً يصلى في قبره » . ويقول ﷺ : « ليلة أن أسرى بى التقيت فى السماء بإبراهيم فقال لى : يا محمد أقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » . قال لهم حرم على النار أجسادنا ، واهد إلى طريقك المستقيم عقولنا ، وشرف

بالصفاء والإيمان أرواحنا ، وزك بعصمتك نفوسنا . . آمين يارب العالمين . .
واللهم اجعل حياتنا في الدنيا طاعة لك وعبادة وفي البرزخ انتظاراً لحسن
جزائك بالزيادة . . واجعل في الآخرة لها من الحسنات ما يقيها عذابك . .
يا أرحم الراحمين . . ﷺ على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .